



ذاكرة: الصور من ذاكرة الأيام الأولى للاحتلال الأمريكي وتتوق النهب والسلب تحت راية الجنود الأمريكيين حيث لم يسلم شيء إلا مبنى وزارة النفط لأسباب تتعلق بنوايا المحتل

# عبد الرحمن اليوسفي .. مداخلة في المذكرات الشخصية (1) الإجماع حين يكون إستثناء لدى الوزير الأول المغربي

**عبد الحسين شعبان**

بيروت



حين علمت بصور مذكرات عبد الرحمن اليوسفي رئيس الوزراء المغربي (الأسبق) والذي يسمي في الأدب السياسي المغربي "الوزير الأول" بادرته بالسؤال عنها لافتتاحها لما يمثلها اليوسفي من رمزية وطنية وعروبوية وحقوقية وإنسانية كبيرة، تكاد تكون نادرة في هذه الأيام، ولكي أطلع على تفاصيل أخرى من حياته ومحطات مهمة كنت أجهد الكثير عنها، وهو الأمر الذي تأكدت منه بعد قرائتي لنصوص المذكرات التي صدرت في ثلاثة أجزاء وهي بعنوان "أحداثي في ما جرى عكس ما جاء في الجزء الأول "شذرات من سيرتي كما رويتها ليودرقة" كما قال اليوسفي نفسه، والمختصر ببودرقة هو اسبارك بيودرقة (عباس) الذي يقول في مقدمته الموسومة "محاوالاتي مع بوح من عبد الرحمن اليوسفي: عندما قررت في سنة 2016 نشر رسالة بباريس للمرحوم محمد باهي حرمة، وشرعت مع صديقي أحمد شوقي بنوب في تجميع مواد من أرشيف صحافتي وفناني، وبرزت لنا مواد أخرى ذات أهمية، كانت بدورها تتطرق للشخصيات وتمثّل في مداخلات في الثقافة السياسية والذاكرة الخيالية للاستاذ عبد الرحمن اليوسفي. ويشير بيودرقة إلى أن ذلك حلم راوده لفترة قاربت عقدين من الزمن، وكثيراً ما حاول إقناع اليوسفي بتدوين سيرته، خصوصاً أواخره ومواقفه في الحركة الوطنية وفي المقاومة وجيش التحرير وفي ما شهده المغرب من أحداث جسام بعد استقلاله، لكنه كان يقابل الإلحاح بالصمت أو بإبتسامه عريضة تلك التي لا تفارقه، والحاملة لكل المعاني والتأويلات التي يمكن أن تتبادر إلى الذهن.



عبد الرحمن اليوسفي مع د.شعبان ووفد من الشبكة الأوروبية المتوسطية وهيون رابشر واتش ومركز القاهرة

إلى أن روح الشعور العالي بالمسؤولية والحرص على تطور البلاد باتجاه التحول الديمقراطي هو الذي ساد في نهاية المطاف، وهذا ما حصل وهكذا انتقل اليوسفي من المعارضة إلى المشاركة ومن الرفض إلى النقد ومن المطالبة بتغيير النظام إلى تحمل المسؤولية للمشاركة في إدارته والمساهمة في إصلاحه والعمل من أعلى موقع في الدولة لتقديم رؤية جديدة تتعلق بالتنظير السلمي استجابة لرغبة ملكية. وقد أسهم هذا التطور في ثلاث جهات أساسية:

الديمقراطي، أنكر منهم الصديق إدريس بن زكري الذي قضى 17 عاماً في السجن وكنت قد أهديت له كتابي "الشعب يريد... تاملات فكرية في الربيع العربي" (2012) وكان قد غادرت قبل هذا التاريخ، أما الاعتبار الثالث- فهو الخلل للمستقبل، خصوصاً باحترام معايير حقوق الإنسان والشفرة الدولية، والانضمام إلى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وإطلاق حرية التعبير والحريات الديمقراطية بما فيها الحق في التنظير الحزبي والقبلي والاجتماعي والحق في الشراكة والمشاركة وعدم التمييز. وقد كانت لتغيرات الدستورية في المغرب التي حصلت بعد قترتي بالربيع العربي أن فرضت قواعد دستورية جديدة للاحتمال الديمقراطي الديمقراطي توجت بدستور 2011. وكانت فترة إدارة اليوسفي قد استمرت لهذا التطور، وكنت شاهداً ورامداً عليها، وادعاً لها بالمقترحات والمشاورات، خصوصاً من خلال وزير حقوق الإنسان الصديق محمد أوجار، وأنشأنا - مجتمع مدني ناشط وأجواء حقوقية مساعدة راصدة وناقدة وتسدعي لتكون قوة اقتراح وليس قوة احتجاج فحسب، بل نعدل ما في وسعها لكي تكون شريكة في اتخاذ القرار وفي تنفيذة لتحقيق التنمية المنشودة. وثالثها- حركة سياسية وطنية التقت رؤيتها مع الإرادة الملكية العليا ومع تطورات المجتمع المدني، ويضاف إلى كل ذلك شجاعة من جميع الأطراف لمواجهة الصعوبات ومجابة التحديات للوصول إلى المنتصر الذي يخدم البلاد والعباد ويطمح للحاق بركب البلدان الديمقراطية تأسيساً على قيم إنسانية مشتركة، وفقاً لثلاثة اعتبارات:الاعتبار الأول- تجاوز ماضي الماضي وفتح صفحة جديدة من العلاقات بين الأطراف المعنية في إطار مسار الأمد ونضال متعدد الجهات والوجود والاشكال. والاعتبار الثاني- تطبيق معايير العدالة الانتقالية وفقاً للظروف المغربية، سواء وكشف الحقيقة أم بالمساعدات بجزر الضمر أم بالتعويضات للوصول إلى إصلاح النظام القانوني والقضائي والأمني ووضع الياقوت لتكرار ما حصل، والهدف هو تحقيق المصالحة الوطنية، في إطار الاعتراف والتسامح بعيداً عن الانتقام والنار والكراهية. وتعتبر التجربة المغربية يسبقاً التاريخي أولى تجارب العدالة الانتقالية في العالم العربي، علماً بأن بعض من تولوا مسؤولية قيادة مثل هذا التحول المحقق في المهم هم من ضحايا العسف سابقاً الذين شاركوا بقايعية في عملية التحول

**خلال رئاستي للمنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن كنت قد استضيفته (أواخر التسعينات) في محاضرة بجامعة سواس وفي لقاءات مع الجالية العربية ومع جهات رسمية ودولية عديدة لشرح آفاق التجربة المغربية، مثلما التقيت بالوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي أكثر من مرة خلال رئاسته للوزارة، وهو ما سيرد ذكره في هذه المداخلة.**

## في معنى السقوط

ما زالت صورة الجندي الأمريكي عالقة في الأذهان .. وهو يضع العلم الأمريكي على وجه تمثال صدام في ساحة الفردوس .. لكن المشهد لم يستمر طويلاً .. فقد تم رفع العلم الأمريكي على عجل .. واستبدل بعلم عراقي كان بيد شاب عراقي مرع لاصلاح الخلل . كانت فضائيات الدنيا تفتح عسانتها لتصوير الحدث الجلل .. هذا الزلزال الذي جاء بالأجل .

ان معنى وضع ورفع العلم الأمريكي بهذه المسرحية المستهجنة .. لم يات اعتباطاً ، فقد درج رعاة البقر على اخراج مشاهد الإثارة على الطريقة الهوليوودية .. مع ان الامر لم يخرج من سيماء الصورة ودلالاتها .. انه الشروع لاسقاط الدولة .. وبيانا لسفامة الاحتلال الماحق .. مهما كانت تبريراته وحججه عن وحشية وديكتاتورية النظام السابق .

لقد كان هذا الحدث المثير .. سبباً لاقتحام مؤسسات الدولة وحرق سجلاتها . ونهب آثاتها ومقتنياتها .. والتجاوز على عقارات الدولة والمواطنين .. حتى تحولت مدن العراق الى ساحة مفتوحة للحرق ، والسلب ، والدمار .

ومنذ يوم بدء الاحتلال في التاسع من نيسان من سنة 2003 / العراق يعاني من آثار الاحتلال وأثاره. لان عملاء المحتل درجوا على تعزيز نهج الاحتلال وتخطيطاته اثماً وعدواناً ..

مستغلين تغافلهم اخطاء النظام السابق ، الذي حول العراق الى ساحة للحروب والغزوات ، بعد تراجع ملحوظ في الية العمل السياسي والفاء مشروع الجبهة الوطنية .. وتفردت الحزب ( القائد ) بحكم البلاد ، ليصبح فيما بعد حزباً للقائد .. فلا دور حقيقي للحزب والجالس الشبية ، حتى اختزل العمل السياسي ( مجلس عائلي ) واحد صمد .. فتلاشت الآمال ، وتخبطت الاجيال ، وسرت وتعاطت بقوة موجة الطغيان .. والطلاعة يجلوبين الغزاة ..

لنا لا نستطيع اليوم وقف التدهور في حكم الاحتلال ومحو جرائمه .. في غياب حكومة وطنية.. وفي غياب قرارات وإرادة مستقلة .. فالأمور مرشحة لتأخذ بعدها الزمني المشاعر .. بانتظار تغيرات اقليمية ودولية .. كانت قد وضعت العراق في حالة شلل مزمن .. وهذا هو المعنى الحقيقي من هدف الاحتلال وعدوانيته .. والذي اصاب العراق بالصمم ، وشل قدراته ، وأنهى دوره السياسي والاقتصادي .. اقليمياً وعالمياً .

لقد حزن الوطنيون .. لان التغيير لم يحصل من الداخل .. وفرح العملاء بمثل هذا اليوم الموعود ، بعد ان فتحت لهم خزائن العراق .. وظهرت طبقة الحواسم .. وجاء دور القواسم / وما زلنا في حيرة من امرنا بين حواسم .. صاروا قادة ونوابا ومستؤولين في الدولة .. وقواسم لم يدخلوا .. بينما يجدوا في اقسام ثروات العراق شعباً واحزاباً .. بينما ظل صوت الوطن مجرحاً وفي حنجرية شاب عراقي ..كان يبكي وهو يراقب سرقة آثار بلاده عند باب متحف الآثار في الساحلية .. ولا أحد يوقف الجريمة وفي تجسري في هواء طلق وحزين .



كاظم المقدادي  
اسطنبول

(نيسان) وما أدراك ما نيسان .. شهر النكبات والانهيارات ، شهر التصفيق والابحار والاذن الحامسة في حقيقتي مختلفتين .

(نيسان) كما أن يكون شهراً عابراً في العراق لقد كان يحمل في ثناياه عبر التاريخ أحداثاً جدلية جما في وقتها وتأثيراً ؛

لقد (نيسان) من كل عام كان العراق يشهد احتفالات كبيرة مفروضة للاحتفال بمولد الحزب الحاكم (حزب البعث ) المنحل .

وفي (نيسان) من كل عام كان الشعب العراقي بمؤسساته (المدنية العسكرية والحزبية) وفعالياته (الثقافية ، المجتمعية والعشائرية) تعد العدة للاحتفال بمولد "الربيع "ومن لا يحتفل بتلك المناسبة يعتبر من الطيور الخفاص المعادي للثورة .

وفي (نيسان 1990 ) اعلن صدام حسين امتلاك العراق لاسلحة كيميائية قادرة على حرق نصف اسرائيل فكانت الفيتل الأول للارادة التي وضعت العراق في خانة الشرك كجاء امكاناته الكيميائية ومدى جدية رئيس النظام السابق باستخدامها لضرب دولة اسرائيل "الطفل اللؤلؤ أمريكا" .

وفي (نيسان 2003 ) اقتدمت القوات الأمريكية والبريطانية مع من ساندتها والقوات المتحالفة معها باحتلال العراق واسقاط نظام صدام وحزبه الحاكم . كما أن في (نيسان "ارتكب المحتلون جرائم يندى لها الجبين وتقتسمن في هولها الأبدان بحق ابناء شعبنا العراقي بعلميات قتل ممنهج كان الغرض منها زرع الخوف والرجب في نفوس المواطنين الأبرياء .

كما ان في (نيسان) سغم المحتلون صدام وحزبه القوي بدعمها فيها المناهض والصارف والقصور ووووو ، وظهروا الشعب العراقي عبر فضائياتهم ، وكانه شعب غير متحضر يعذب ويسرق مؤسسات بلده تحت شعار (نها مؤسسات وتمكثات صدام وحزبه وعروانه )

ونحن اليوم وبعد (16 نيسان) لم نعد نعرف هل الفرح يسقط صدام وحزبه مناسبة تستحق الاحتفال وهي مقرونة باحتلال اذقنا الويلات وانزل بنا العذاب المغلقة على جميع المستويات وما زاد فيها من فضائح سجنى ابو غربى وبكا ، كإن السجن التي امتلتهها بها الكرامات واستباحت الاعراض وتعرض المواطن لتاسى انواع التعذيب والذل والهوان.

كم تمنيت ان يمر نيسان بيوم وطني تتحقق في آمال العراقيين من خلال اسقاط النظام السابق على ايدي ثوار أحرار من أبناء بلدي ، بعيداً عن قوة الدبابة البرامزر - أو ظللنا المكافحة بي 52التي حصدت ارواح عشرات الاف من العراقيين دون تمييز .

شهر نيسان مختلف به رغم انوفا في ظل نظام شمولي مركزي يعدم من به يعارض سياسة النظام ، ويسقطه به بلدي العراق تحت حراب الاحتلال ، وتمارس ضدنا كل اشكال همجية القتل والتفكيك من قبل قوات الاحتلال والارتزاق .

(نيسان) لم يتغير نفس الشهر الذي يصطف به الشعب ويفرح تارة على الولاية ويصطف ويفرح على موت تلك الولاية

تارة اخرى بوابنتيجة لم نجد من يقف معنا بما نحن فيه الآن ، ولم نعد نعرف ماذا سنستدرك في (نيسان) لم نشاعر الفرح ام اليبس والخوف من مستقبل مجهول دفعنا شمه خيرة شبابنا وموارنا الاقتصادية ومستقبل أجيالنا ؟

شهر نيسان فيه اشكالية وظلم وغمصه وآبين ومعاناة لكل العراقيين وهو ما يستدعي - من وجهة نظرننا- الفاهم من التقوم أو استبدال اسمه كونه يحمل بين يديه تاريخ طويل من الألم ، الموت ، الحد ، الديكتاتورية والاستبداد ، على غير حقيقة هذا الشهر في ذاكره الشعوب الحية الأخرى والذي يمثل في تراثها المجتمعي وراثها الحضاري حالة تحول مبهجة في مواسم السنة تقام له الاحتفالات وتفرح وتستبشر بقدمه الأقدام .

شكراً شهر نيسان .. جيداً لو تجل مرة واحدة مما فعلته بنا وان لاتعود المرور علينا !!!

شكراً شهر نيسان.. فقد كنت سبباً حتى في اختلافاتنا ولم تقل قسوة من حكومات الشر التي تآمرت علينا . شهر يبدا كذبة فكيف تكون أيامه اللاحقة ؟



كامل كريم الديلمي  
بغداد